Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عقله يعمل بكامل قواه ونشاطه، وموقفه ما يـزال ثابتـا لا يـتزحزح". ويـردّ (زيـد شيخ الشباب) على (حازم) بقوله: "لابأس ... لا بأس.. يا حازم المهـم دائمـا هـو الجوهر، وغالي بابا هو الجوهر... نحن كلنا عرضٌ يزول... يتحـوّل.. يتغيّر.. يتبدّل.. لكن المهم أن يبقى الجوهر جوهراً لا يمسّه التغيير أفهمت يـا حـازم" - (الرواية ص٢٨٢).

ورسالة الكاتب الثالثة، في اعتقادي، هي أن البغي لا يدوم، والطغيـان يقـود إلـى الانتقـام... وقـد انتهـت الرحلـة البحريـة بارتطـام السـفينة بصخـور صلبـة، فتصدّعـت وبـدأت تغـرق، وعندهـا عـاد الركـاب إلـى صوابهـم، وأفـاقوا بسـبب الصدمة، في حين سقط (بن جدعون) وصحبه أرضاً، فراح الركاب، وقد تحولّـوا إلى كتلة انتقام، بكل ما فيها مـن هـول يدوسـون القراصنـة بـأرجلهم، ويمزقونهـم بأظافرهم، فقـد كـانوا عصابـة "حولّـت أحلامهـم إلـى فتـات، حيـاتهم إلـى جحيـم، سفينتهم إلى حطام". (٣٠٩).

وبعد أن وقع الانتقام والظفر، نجا الركاب بأنفسـهم بواسـطة قـوارب النجـاة المعلقة على جانبي السفينة.

والرسالة الرابعة للكاتب تحكي لنا أهمية التفاؤل، وتستنكر اليأس والتخـاذل، فمن بين السطور نقرأ أن النصر حليف الصابرين، والوصول إلى الشاطئ الآخر غير مستحيل، والنجاة موثوقة.. وقد ظهر ذلك واضحا في عبارة السـندباد-رمز الماضي الذي به نعتبر- التي قالها لحفيدته (زين) وهي: "وهل يساورك الشك يـا زين في أننا سـنصل إلـى برّ الأمـان؟"- (الروايـة ص٣١٠). وربمـا كـانت هـذه العبارة الأخيرة في الرواية هي التـي حـدت بـالدكتور (محمـد توفيـق البجيرمي) ليقول: "هذه رواية ملحمية بأسلوب واقعي ليست فيها خوارق الملاحم ومبالغاتها، وفيها نبوءة تتحقق، رغم أن كل شيء كان ضدّها، ويشير إلـى توقعّـات معاكسـة لها على طول الخط"(مقدمة الرواية ص٥) ومن الجدير بـالذكر أن الكـاتب فـرغ من كتابة روايته في خريف عام ١٩٨٧، وهو العام الذي انطلقت فيه الانتفاضة..

***

تلك هي رسائل الكاتب إلى قرّائه، وإذا صغناها، على نحو آخر، قلنـا: هـي التوثيق للواقع التاريخي الراهن، والدعوة إلى الصمود فـي وجـه الطغـاة والبغـاة، والتفاؤل بالنصر القادم، واليقين بالوصول إلى بر الأمان، شرط الصمود والصبر وصفاء الرؤية.

والحـق أن هـذه الـرؤى، الجديـرة بالكتابـة، لـم تكـن، فـي هـذا الأثـر الفنـي